وصية غريب

تأليف

عبد الواحد بن عبد الله المهيب

دار طيبة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصيـــه عريـــب

ان الحمـد لله نحمده ونستعينـه ونستغفره من يهـده الله فـلا مضـل له ومن يضلل فـلا هـادي لـه وأشهـد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبـده ورسولـه وبعد فقـد قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ **اعلمـوا أنما الحيـاة الدنيـا لعب ولهـو وزينة وتفـاخر بينكم وتكـاثر في الأمـوال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفـار نباتـه ثم يهيـج فتـراه مصفـراً ثم يكـون حطاماً وفي الآخره عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ومـا الحيـاة الدنيـا إلا متاع الغـرور، سابقـوا إلى مغفـرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنـوا بالله ورسله ذلـك فضـل الله يؤتيـه من يشـاء والله ذو الـفضـل العظيم** ﴾[1].

---

(١) سورة الحديد آية (٢١)

أخي في الله امتثالاً لما أوجبه الله تعالى على المسلم من النصح لاخوانه المسلمين أقدم لك هذه النصيحة عسى الله أن ينفع بها، فعن جرير بن عبد الله قال: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم).[1]

أخي في الله هذه وصية غريب أهديها لك لعلك أن تكون من الغرباء الذين لا يستغنون عن هذه الوصية التي تحتوي زاداً لك في طريق الحياة فهي في غاية من الأهمية لما فيها من الفوائد التي تجعل الإنسان المؤمن يسعى إلى الدار الأخروية بالكلية فاحرص على قراءتها بتفهم وكرر القراءة وليكن همك العلم والعمل بإخلاص ومتابعة لنبي الغرباء وبلغها لعلك تفوز بطوبى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء)[2].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر: « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »[3].

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه مسلم
(٣) رواه البخاري.

والغريب هو الذي تمسك بما كان عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم عقيدة وشريعة وأخلاقاً وسلوكاً وعبادة شاملة بكل ما أمر الله به. وصبر على ذلك «أن من ورائكم أيام الصبر للمتمسك فيهنَّ يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم، قالوا يانبي الله أو منهم؟ قال: بل منكم»[1] هذا ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم يا أخي.

واعلم يا أخي أنني لا أريد منك شيئاً وهل تملك شيئاً.. ؟ إنما أريد وجه الله تعالى لعله يرضى عن الغريب...

لا تركنن إلى الدنيا ومافيها ... فالموت لاشك يفنينا ويفنيها
واعمل لدار غداً رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهب والمسك طنيتها ... والزعفران حشيش نابت فيها

فهؤلاء الغرباء الممدوحون المغبوطون ولقلتهم في الناس جداً سموا غرباء فإن الأكثر على عير هذه الصفات فأهل الإسلام في الناس غرباء والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء وأهل العلم في المؤمنين غرباء وأهل السنّة الذين يميزونها من الأهواء والبدع غرباء والداعون إليها الصابرون على أذىٰ المخالفين هم

---

(١) السلسلة الصحيحة للألباني ١/٨١٢. أخرجه الطبراني في الكبير وأبو داود والترمذي.

أشـد هؤلاء غربـة. ولكن هؤلاء هم أهل الله حقـاً فلا غـربـة عليهم وإنما غربتهم بين الأكثرين الذين قال الله فيهم: ﴿ **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيـل الله** ﴾[1]. فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه. غربتهم هي الغربة الموحشة وإن كانوا هم المعروفين المشار إليه. ومن صفات هؤلاء الغرباء الذين غبطهم النبي صـلى الله عليه وسلم التمسـك بالسنّـة إذا رغب عنها الناس وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس وتـرك الانتساب إلى أحد غير الله سبحانه وتعـالى ورسولـه صلى الله عليـه وسلم بل هؤلاء هم الغرباء المنتسبون إلى الله بالعبودية وحده وإلى رسوله صـلى الله عليه وسلم بـالاتبـاع لمـا جـاء بـه وحـده وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقاً.

الإسلام الحقيقي غريب جداً وأهله غرباء أشد الغـربة بـين الناس وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جداً غـريبة بـين اثنتين وسبعين فرقة ذات أتباع ورئاسات ومناصب وولايات؟ لا يقـوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسـول صلى الله عليـه وسلم،

---

(١) الأنعام آية (١١٦).

فإن نفس ما جاء به يضاد أهواءهم ولذاتهم ومناصبهم وما هم عليه من الشهوات والشبهات والبدع التي هي منتهى فضيلتهم وعملهم والشهوات التي هي مقاصدهم وإرادتهم. فيكف لا يكون المؤمن الطاهر الباطن والظاهر في أقواله وأفعاله وأكله وشربه وفي كل حياته المهاجر إلى الله على طريق المتابعة غريبا بين هؤلاء الذين قدْ اتبعوا أهواءهم وأطاعوا شحّهم وأُعْجِبَ كل منهم برأيه فإذا أراد المؤمن الذي قد رزقه الله بصيرة في دينه وفقهاً في سنّة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهماً في كتابه وأراه ما الناس فيه من الأهواء والبدع والضلالات وتنكبهم الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ فإذا أراد أن يسلك هذا الطريق المستقيم فليوطّن نفسه على قدح الجهال وأهل البدع فيه وطعنهم عليه وإزرائهم به وتنفير الناس عنه وتحذيرهم منه كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه صلى الله عليه وسلم.

فهو غريب في دينه لفساد أديانهم، غريب في تمسكه بالسنّة لتمسكهم بالبدع غريب في اعتقاده لفساد عقائدهم. غريب في صلاته لسوء صلاتهم غريب في طريقه لضلال وفساد طرقهم

غريب في نسبته لمخالفة نسبهم غـريب في معاشـرته لهم لأنـه لا يعاشرهم على ما تهوىٰ أنفسهم.

وبالجملة فهو غريب في أمور دنياه وأخرته لا يجد من العـامة مساعداً ولا معيناً فهو عالم بين جهـال، صاحب سنّـة بين أهـل بدع، داع إلى الله ورسولـه بين دعـاة إلى الأهواء والبـدع، آمر بالمعروف ناه عن المنكر بـين قومٍ المعـروف لديهم منكـر والمنكر معروف. ثم أن الناس كلهم في هذه الدار غرباء، فـإنها ليست لهم بدار مقام ولا هي الدار التي خلقوا لها وقد قـال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمـر ـ رضي الله عنهما ـ : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ».

وهكـذا هو في نفس الأمـر لأنه أمـر أن يطالـع ذلـك بقلبـه ويعرفه حق المعرفة وكيف لا يكون العبد في هـذه الدار غـريباً، وهو على جناح سفر لا يحلّ عن راحلته إلا بين أهل القبور؟ فهو مسافر في صورة قاعد وقد قيل:

وما هـذه الأيـام إلا مـراحـل يحث بهـا داع إلى المـوت قـاصـد
واعـجب شيء ـ لـو تـأملت ـ أنها منـازل تـطوى والمسـافـر قـاعـد

ذكـر أن قومـاً من الصالحـين جلسـوا في مجلس وكـان بينهم

رجـــل من أهـل الإيمـــان وأراد أن يجعلهم يحتقـرون الـــدنيـــا ويتذكرون الآخرة . . . ماذا فعل؟ أتى بورقـة وجعل فيهـا شيئاً حقيراً وأخذ هـذا الشيء يدور عـلى جميع من كـان في المجلس، وكلما ينظر إنسان من الجالسين إلى الورقة يضحك ويتعجب ولم يلقـوا لها بـالاً ولم يفهموا شيئـاً أبـداً. . ثم قـال لهم: إن هـذا الشيء الحقير الصغير الذي رأيتموه هو جناح بعوضة قـذرة وأن الدنيا بأموالها وأهلها وشهواتها وجوّها وبحرها وأرضها وسمائها وليلها ونهارها هي أحقر عند الله من هذا الجناح القذر.

ويقول الصالحون الذين كانوا في المجلس :

بعـد ذلك صحـونا من غفلتنـا وأحسسنا بضـربـة في القلب هزّت كياننا وعرفنا أنه أراد أن يذكرنا بحديث الرسول صلى الله عليـه وسلم: « لو كـانت الدنيـا تعدل عنـد الله جناح بعـوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء »[1].

فيـا أخي إذا كنا الآن نحتقـر جناح البعـوضة بـل البعوضـة كلها ونبغضها بل نحاربها لأنها حقيرة ضـارة فمن باب أولى أن

---

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

لا نهتم بهذه الدنيا لأنها أحقر عند الله من جناح البعوضة القذر

فلنجعل الدنيا تحت تصرفنا وتحكمنا ولنجعلها مزرعة للآخرة. . . أما سمعت قول الشاعر . . .

إن لله عباداً فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلمّا علموا أنها ليست لحيٍّ وطنا
جعلوها لجّة واتخذوا صالح الأعمال فيها سُفنا

واللجة : هي البحر.

أخي في الله كلام الله عز وجل هو منهاجنا في هذه الفترة القصيرة جداً التي نحياها يقول الله عز وجل: ﴿ **لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً** ﴾[1]. وتذكر جيداً يا أخي قوله تعالى: ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾[2].

فلابد يا أخي أن تجعل لسانك وبصرك وحياتك كلها وقفاً لله سبحانه وتعالى فليكن لسانك عامراً بالذكر والنصح والأمر

---

(١) النساء (١١٤).
(٢) سورة ق. آية (١٨).

بـالمعروف والنهي عن المنكـر. واجعله كـالمشلول عنـد مـواطن الغيبـة والنميمـة والسب والاستهـزاء والغنـاء. وليكن بصـرك متجهاً دائماً وأبداً إلى الخير من قراءة القرآن أو الكتب المفيـدة أو إلى أمر مهم جداً للغاية لابد أن تجعل لبصرك نصيباً خاصاً بهذا الأمر المهم. . . ؟ النظر إلى عظمة السماء والأرض وما فيهـما من المخلوقات من القمر والحيـوانات والحشـرات والجبال والبحـار والسحاب والبشر وكيف خلق الله العظيم سبحانه وتعـالى هذه الأشياء العجيبة فتعرف من خلال إطالة وتعمق الفكـرة عظمـة الله المـطلقة فتكفّ بصـرك عن جميع مـا حرّم الله من النـظر إلى النساء وغيرها من الفتن والنظر إلى ما لا فائدة فيه فيعـطيك الله ثـلاث خصال. . . حـلاوة إيمان. . . وخشـوعا في القلب. . . وفـراسة، وإذا حـدث منك ذلـك فبادر إلى استغفـار لله بقلبك ولسانك وأتبع هذه الزلل حسنة بفعل خير. . . تجد الله غفـوراً رحيماً.

وحافظ على قـول كفارة المجلس عنـد نهاية كـل جلسة وهي «سبحـانك اللهم وبحمـدك أشهد أنِ لا إلـه إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»[1].

---

(١) الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان صحيح.

أخي في الله لابد أن تكثر من الأعمال الخيرية في كل مكان وفي كل زمان ولا تحقر أبداً أي عمل صغيراً كان أم عظيماً مادام خيراً وبإذن الله يا أخي لن تتعب أبداً من القيام بهذه الأعمال مادمت تشرب من الشراب اللذيذ الذي يزيدك محبة لهذه الأعمال ألا وهو شراب الإخلاص والاحتساب لله سبحانه وتعالى واحذر كل سبب يقربك إلى النّار وسارع إلى كل سبب يؤدي بك إلى بوابة الجنّة برحمة الله ومنّه.

ولابد يا أخي أن تستدرك ما فات عليك مادام في العمر بقية مافات عليك من الساعات ومن الأيام ومن الأسابيع ومن الشهور ومن الرمضانات الذي غفل الناس عن فضل هذا الشهر الكريم ألا وهو شهر رمضان المبارك وما فيه من الفضل العظيم ولو أنهم علموا أنّ من أصابته ليلة القدر في هذا الشهر المبارك فإنه مستجاب الدعوة وسوف يكون بعدها بإذن الله من خير عباد الله الصالحين المصلحين وسوف يتعلق قلبه بالله ويأنس به في الوحدة ومع الناس عند إصلاحهم. وسوف يعرف فعلاً أن هذه الدنيا خدّاعة برّاقة وأنه لا لذة ولا نعيم ولا راحة ولا سعادة إلا بطاعة الله ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل شيء. ويتعلق قلبه بالله وسوف يُحب الخير وأهله

ويحرص عليه ويكره الشر وأهله ويحرص على البعد عنه.

أخي في الله إن هـذا كلّه مقـابـل أيـام وليـالي معـدوده فقط ساعات بـل الدنيـا ساعـة فاجعلهـا طاعـة لعلك أن تفوز بليلة القدر التي تعادل ثلاثاً وثمـانين سنـة بالله عليـك يا أخي أليس هـذا التعب يعتبر قليـل جداً بـالنسبة لهـذا الفضل العـظيم لمن تقبل الله منه ثم يا أخي ألم تر أن أيام رمضان تمضي سريعة فهل أنت راضٍ عـما قدمت وهـل أعـطيت رمضـان حقـه؟ لا أظن وكذلك رمضانات قـد ذهبت من قبل فيـاها من حسـرة يجدهـا الإنسان عند تضييعه لهذا الفضل العظيم إذا كـان هذا الفضـل العظيم فقط لليلة القدر فكيف بـك إذا أضيفت إليه تسـع ليال هي أفضل الليالي وأبركها في السنة والعمل يتضاعف فيها.

فـاجتهدا اجتهـد واستيقظ استيقظ وإيـاك والنـوم والكسـل والتسويف والتململ.

أخي في الله استدرك ما فات مادام في العمر بقية مـادام أنك مازلت شابـاً فماذا تنتـظر بعد ذلـك؟ أتنتظر المـرض؟ أم تنتظر الأشغـال التي تشغلك؟ أم تنتظر الشيخـوخة ؟ أم تنتـظر الموت الذي هو قريب ولكنَّك في غفلة عنـه؟ وسوف يهجم عليـك في ساعة من ليـل أو نهار ولا تدري كيف الانتقـال أيكون بـأعمال

صالحة وحسن ختام؟ أم يكون بأعمال سيئة وسوء ختام؟ إن الشيخوخة تكون عليك حسرة وتقول ياليتني حينما كنت شاباً أكثرت من صوم التطوع وقيام الليل وتعلم العلم والدعوة إليه وفعل كل ما يحب الله جلّ وعلا.

أخي لا تغفل عن الموت فالدنيا مرحلة من المراحل وأنت مسافر لكنك لا تدري متى السفر إن الموت الذاهية وهو الذي لا ينفع معه ندم لا كثير ولا قليل فهو بوابة لأهل الإيمان والتقوى إلى الجنة وبوابة لأهل الكفر والعصيان إلى النيران وسوف تنتقل بخرقة بيضاء ولا يُقَال إلا غسلوا الجنازة وطيّبوا الجنازة وصلّوا على الجنازة. أقرب الناس إليك لا يريدونك بل يسارعون بك إلى حفرة عرضها أشبار وطولها أمتار إما أن تكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. نسأل الله الجنة ونستعيذ بالله من النار وبعد ذلك ينساك الحبيب والقريب ولا ينفعك إلا ما قدمت من الأعمال الصالحة الخالصة كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »[1].

---

(١) رواه مسلم.

أخي إليك هذه الأبيات :

تـزود من التقـوى فـإنـك لا تـــدري ... إذا جنَّ ليـل هـل تعيش إلى الفجـــر
فكم من فتى أضحى وأمسى ضـاحكاً ... وقـد نسجت أكفانـه وهـو لا يـدري
وكم من صغـار يرتجى طـول عمرهم ... وقـد أدخلت أجسادهم ظلمـة القـبر
وكم من عـروس زينـوهـا لـزوجهـا ... وقـد قبضت أزواجهم ليلة العـرس

أخي في الله كـل معصية سـوف تجازى بهـا لاشك في ذلـك ولكن يعفى عنـك لأسبـاب منهـا التـوبـة والاستغفـار وفعـل الحسنـات وما يقـدر عليـك من المصـائب ودعـاء الأخيـار لـك وإهدائهم الأعمال التي ورد فيهـا النص بعد مماتك أو بعـذاب القبر أو بأهـوال يوم القيـامة أو عـذاب جهنم أو بغير ذلـك من الأسباب. فأسألك بالله ما هـو أسهل عليـك من هذه الأمـور؟ أليست التوبة؟ إذاً لماذا لا تتوب وتفتـح صفحة جـديدة بيضـاء تصدق مع الله وتعزم على التوبة فإن الله لا يخيّبك أبـداً كيف لا وهو أرحم الراحمين. واللطيف الخبير وهو الغفور والرحيم.

واحـذر التسويف وقـولك سـوف (أتـوب) وأتـرك المعـاصي الظاهرة والباطنة وسوف أترك التعلقات وسوف أدعو إلى الله بل سـارع إلى الله وتب التوبـة النصـوح وانكسر بـين يـدي ربـك

واسكب الـدموع بـين يدي مـولاك في جـوف الليـل واعتـرف بذنوبك واسأله أن يعينك فيما بقى من عمرك.

فيـا مسكين اعلم أن الأجـل بيد الله وأنـه لا حـول ولا قـوة لك. فمتى كان وقت رحيلك عن هذه الدنيا الفانيـة أتاك ملك الموت وخطف روحـك سواء رضيت بـذلك أم لم تـرض فأيهـما أحسن أن تخـرج روحك من جسدك وهي طـاهـرة مـطمئنـة أو تخرج وهي خبيثة؟

وتذكر أهل القبور وكيف غيّر الموت أحـوالهم تغفنت بطونهم وغـيّر محاسن وجـوههم وتساقـطت أسنانهم عـلى الأرض وأكل الدود خدودهم وأجسادهم وأصبحوا جثثاً هامـدة وجيفاً منتنـة وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأكثر من الدعاء لنفسك وخصوصاً صـلاح قلبك والتـوفيق والهـداية والسـداد وادع لوالـديك وقـل رب ارحمهما كـما ربياني صغيراً وأكثر من الدعاء للعلماء ولإخـوانك الأفغـان فإن النصر بيد الله وهو مجيب الدعاء واسألْهُ أن يجمع شملهم على التوحيد وكذلك إخوانك المسلمين في كل مكان فإن الملائكة تقـول آمين ولك بمثل فأنت الرابح.

واعلم يا أخي أنك في اليوم تمر بثلاث حالات: ذنب يحتاج إلى استغفار ونعمة تحتاج إلى شكر ومصيبة تحتاج إلى صبر فكن في كل حالة بما يناسبها.

اشترى رجل عالم أغراضاً من السوق واستأجر حمّالاً ليحملها إلى البيت ـ فعجب العالم من كثرة استغفاره وشكره في الطريق فسأله عند الوصول إلى البيت فعجب الحمّال من العالم لهذا السؤال!! فأجاب الحمال: إنني إما أن أكون في نعمة تحتاج إلى شكر أو ذنب يحتاج إلى استغفار.

أخي أما سمعت ابن المبارك ماذا يقول:

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذلّ إدْمَانُها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك حرمانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

إذً يا أخي يجب أن تكون مثلي غريباً فعليك بمخالطة الغرباء من أتباع الرسول ﷺ وقراءة سيرة الغرباء الأوائل والأواخر وانطرح بين يدي رب الغرباء في السَّحَرِ بعين باكية وقلب خاشعٍ ولسانٍ ذاكرٍ وواصل السفر خصوصاً في سكون الليل الآخر ولا تغفل عن السير إلى دار الغرباء بزاد العلم والعمل الخالص إلى بلاد الأفراح برحمة من الله. وتذكر ـ أيها الأخ

وصيـة الغريب ـ تـذكـر الآخـرة عنـد تمتعـك بـأي نعيم زائـل مسبـوق بتعب من ـ مساكن وأزواج ومـراكب وخـدم ومـطاعم ومشارب وملابس ـ ما أعدّ الله للغرباء هناك في الدار الآخـرة. واجعل كل نعيم من الدنيا يذكّرك بنعيم الآخرة.

أخي الحبيب اجتهد دائماً أن تتذكر بلاد الأفراح بنقـل قلبك إليهـا فهي موطننـا الأول وذلـك بـالتـدبـر في كتـاب الله وسنـة المصطفى ﷺ.

فلابد أن تعرف وتتذكر وتتيقن دائماً أن في بلاد الأفراح فيهـا ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين ما لا عـين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

يا أخي: ألا تريد التمتع بالنظر لوجهه الكـريم جلَّ وعـلاً؟ ألا تريد التمتـع برؤيـة الصالحـين من الأنبياء والصـديقين؟ ألا تريد التمتع بالحور العين الكواعب الأتراب؟ ألا تريد أن تأكل لحم طير مما يشتهـون وفاكهـة مما يتخيـرون وأنواع الشـراب من الخمـر والعسل وغـير ذلك؟ ألا تـريد قصـور الذهب والفضـة والبساتين العظيمة والغلمان الذين يخدمونك في دار السلام.

اسمع يا أخي قول أحد الغرباء الذين ساروا وتركوا لـذّات هـذه الدنيـا وشهواتهـا من أجل الله عـزَّ وجلَّ وفـازوا بإذن الله

ورحمته بجنات الفردوس اسمع قول العلامة ابن القيم ـ رحمة الله عليه وعلىٰ شيخه ـ :

وحيّ على جنات عدن فإنها
منازلك الأولى وفيها المخيّم
ولكننا سبي العدو فهل ترى
نعود إلى أوطاننا ونسلم
وأي اغتراب فوق غربتنا التي
لها أضحت الأعداء فيما تحكم
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى
وشطّت به أوطانه ليس ينعم
فمن أجل ذالا ينعم العبد ساعة
من العمر إلاّ بعد أن يتألم

أخي في الله اعلم أنه ليس في الجنّة مما في الدنيا إلا الأسماء فقط لكن الأشياء ليست هي نفس الأشياء من الفواكه وما أعده الله عز وجل لأوليائه من المتقين.

أخي في الله أما سمعت الشاعر يقول:

ما ضر من كان في الفردوس مسكنه
ما مسه قبل من خير وإقتار

ونـزل سفيان الثـوري ـ رحمـه الله ـ عـلى قـوم في مسكن ولم يعرفوه فكانوا إذا تحدثوا يستمع لهم فقالوا كان إذا حدثنا ذكـرنا الجنة والنار وأخذ يقول:

تــراه في الـنــاس يمشي خــائـفــا وجــلا
إلى المــســاجــد هــونــاً بــين أطـمــار
تــفـنى الــلذات ممـن نــال صــفــوتهــا
مــن الحيــاة ويـبـقــى الخــزي والـعــار
تــبـقــى عــواقـب ســوء في مــغـبـتــهــا
لا خــير في لــذة مــن بـعــدهــا الــنــار

ويقول الشاعر أيضاً:

أيهــا الـغــافــل في ظــل نعيم وســرور
كن غـريباً واجعـل الـدنيـا سبيـلاً للعبـور
واعدد النفس طوال الدهر من أهـل القبور
وارفض الـدنيـا ولا تـركن إلى دار الغـرور

أخي في الله انظر إلى الآخرة في قلبك دائماً وأبداً وتذكرها في الليل والنهار ما فيها من نعيم وما فيها من أهـوال وشدائـد فإذا أكلت فاسأل نفسك هل تريد أن تـأكل ممـا أعد الله لأوليـائه في

جنات النعيم من فاكهـة مما يتخيـرون ولحم طير مما يشتهون أم تريد أن تأكل من الزقوم وتشرب من ماء تتقطع له الأمعاء.

أخي في الله إذا لبست ثوباً فاسأل نفسك هل تـراك يمنن الله عليـك في الآخرة فتلبس من الحـرير والسنـدس والإستبـرق أم أنـك تلبس ثيـابـاً من قـطران نسـأل الله أن يقينـا وإيـاك من النيران.

أخي في الله إذا مررت على جسر فـاسأل نفسـك هل تكـون يوم القيامة ممن يمرون على الصراط كأجاويـد الخيل أو كـالريـح أم أنك تحبو على الصراط حبواً أم أنك تلقفك الكلاليب كن في يقظة وتذكر أمور الآخرة دائماً كي لا تكون من الغافلين فتسقط في هدا الطريق الطويل الذي فيه من الإلتـواءات والاستدارات في الليل والنهار.

أخي في الله كن عـلى حذر من الشيـطان فالشيـطان ملحاح بطيء لا ييأس منك بل يحـاول أن يوقعـك في الآثام والمعـاصي من هـذه المداخـل والمعاصي وهـذه العقبات أولهـا عقبة الكفـر والشـرك الأصغر أو الأكـبر، احذر البـدع وابتعـد عنهـا وحـذر الآخـرين منها، احـذر الكبائـر فالشيـطان يـدعـوك إلى كبـائـر الذنوب والآثـام القوليـة والفعلية والـظاهرة والبـاطنة احـذرها

وابتعد عنها واجعل بينك وبينها وقاية من خوف الله ورجاء ثوابه ومحبته جل وعلا وتعظيمه في الليل والنهار، فإذا ما سلمت من ذلك جاءك الشيطان من مدخل الصغائر كي يوقعك في حباله فإذا سلمت من ذلك جاءك من باب المباحات والانشغال بها عن الطاعات فإذا سلمت من ذلك جاءك من باب الانشغال بالأعمال المرجوحة عن الأعمال الراجحة فاحذر ذلك كأن يشغلك عن العلم ويشغلك عن بر الوالدين أو غير ذلك من الأمثلة الأخرى.

واعلم بأن الشيطان لن يتركك يا أخي وهو واقف على قمة الجبل يحذرك من الصعود والأشواك والعوائق والعقارب والحيات كثيرة كثيرة في جبل النفس ولا تشغل نفسك بالتعلق كي لا تسقط فاحرص على عُدد الإيمان ومصابيح اليقين وزيت الإخبات لأنك لا تسلم من مدخل تقديم الأعمال المرجوحة على الأعمال الراجحة إلا بثقل الأعمال ومراتبها عند الله ومنازلها في الفضل وذلك بمصباح الكتاب والسنة وبذلك تسلم بإذن الله تعالى من كثير من مداخل الشيطان التي يدخل بها على الإنسان ومنها هذا المدخل الذي يدخل به الشيطان على كثير من الإخوان واجتهد أن تشغل نفسك بالطاعات المختلفة في

الليل والنهار ومن ذلك الصدقة فإن الله يحبها، واحرص على أن تشارك بجزء من مالك في الجهاد في سبيل الله وخاصة جهاد الأفغان فالرسول ﷺ يقول: «من جهز غازياً في سبيل فقد غزا. . .»[1] ويقول ﷺ: «كل امريء في ظل صدقته يوم القيامة. . .»[2].

أخي في الله احرص أن تتابع بنوافل الطاعات ومن ذلك الحج خلال السنوات والإكثار من العمرة خلال السنة فالرسول ﷺ يقول: «العمرة إلى العمرة مكفرات لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[3].

واعلم يا أخي أن الصلاة في مكة أي المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وكذلك بقية مساجد مكة بمائة ألف لكن للمسجد الحرام الفضل فحافظ على الصلاة بالمسجد الحرام إذا ذهبت إلى هناك في كل وقت من الأوقات.

واعلم أن الحسنات تتضاعف لشرف المكان وشرف الزمان في رمضان وذي الحجة في أيامه العشر والسيئات تتضاعف من

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه أحمد، وابن خزيمة وصححه الألباني في الترغيب والترهيب.
(٣) متفق عليه.

حيث الكيفيـة لا من حيث العدد فـالسيئة بمكـة أعظم إثـماً من السيئة في الأماكن الأخرى.

فاجتنب الذنوب في تلك البقاع المقدسة وأكثر من الطاعـات المختلفة فيها تكن لك ذخراً عند الله يوم لقائه.

واحرص على العمرة في رمضان فالرسول ﷺ يقول: «عمرة في رمضان تعدل حجة»[1].

أخي في الله إذا كنت في رمضـان فبـادر فيـه إلى الـطاعـات واجتنب فيه المنكرات وزد فيه من الأعمال الصـالحة من نـوافل الصلاة وخصوصاً التراويـح فالـرسول لله يقـول: «من قام مـع الإمام حتى ينصرف كتب لـه قيام ليلة»[2] وقـال ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[3].

وأكثر كذلك من الصدقـات فإن أفضـل الصدقـة صدقـة في رمضـان وإذا كان عليـك زكاة فخـرج زكاتـك عند الحـول ولا بأس بتقديمها وإذا كان عند المرأة حـلي فلتخرج زكـاة حليها إذا

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه أحمد والترمذي وصححه.
(٣) رواه الترمذي، صحيح الجامع.

بلغ النصاب. واطعم الطعام فمن فطر صائماً فله مثل أجره وطيب الكلام وصل الأرحام وزر المرضى «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلو الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[1].

واسعى في قضاء حوائج الآخرين وخصوصاً الأرملة والمسكين، وأكثر من تلاوة كتاب الله بتدبر وفهم وعمل بالآيات، وأكثر من ذكر الله واسأله لنفسك ولأقاربك وإخوانك في الله وللمسلمين أن يدخلك الجنة وأن يبعدك عن النار، وأكثر من الاستغفار والصلاة والسلام على المصطفى المختار.

واعلم أن أيام رمضان معدودة سريعة الذهاب فاحرص كلما ينقص يوم من هذا الشهر المبارك أن تزيد من الأعمال الصالحة التي تقربك إلى الله فإذا جاءت العشرة الأخيرة من رمضان فزد وأكثر يا أخا الإيمان وبادر إلى الجنات لأنك في ليالٍ مباركات فيهن ليلة هي ليلة القدر خير من عبادة ألف شهر أي ما يقارب من الثلاث والثمانين سنة فاجتهد وأكثر من الطاعات والمحافظة على صلاة التراويح.

---

(١) مسند الإمام أحمد وغيره، وصححه الألباني.

واحـرص على صـلاة القيام والاستغفـار في السحـر وقـراءة كتاب الله.

واحـرص على كثـرة الطواف لنفسـك فلك في ذلـك الأجـر العـظيم وليكن طـوافـك بخشـوع لأن أهم شيء في العبـادة الخشوع وسوف ينزع في آخر الزمان. وهو من أفضل القـربات فكل خطوة تخطوها لـك فيها حسنـة ويمحو الله عنـك سيئة كـما ذكر في الحديث الصحيح عن الرسـول ﷺ قال: «من تـطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فـريضة من فـرائض الله كـانت خـطواتـه إحـداهـا تحط خـطيئـة والأخـرى تـرفـع درجة»[1]

وأيضـاً سبّل مـاءً لعل الله أن يـسقيـك من حوض النبي ﷺ واعلم بأن من أفضل الصدقات سقاية الماء.

وكن ممن يـأمرون بـالمعـروف وينهـون عن المنكـر عـلى قـدر طاقتك.

واحـرص على مجـالس العلماء وحلق الذكـر ففي ذلك حيـاة لقلبك وكن ممن يحيون سنة الرسول ﷺ في كل شيء ومن ذلـك

---

(١) رواه مسلم.

الجلوس بعد صلاة الفجر في المسجد حتى تطلع الشمس وتصلي ركعتين لعل الله يعطيك أجر حجة وعمرة تامة تامة تامة فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى الصبح في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: تامة تامة تامة»[1].

وخير ما أُوصيك به يا أخي الإكثار من الدعاء في السجود فإنك قريب من الله فسأله أن يصلح قلبك وأن يثبتك على طريق الإيمان فكم من إنسان سار على هذا الطريق وأضله الشيطان بسبب ذنوب باطنة أو ظاهرة نسأل الله العافية والسلامة من الوقوع في خطواته وليكن عندك يقين بأنك تدعو من بيده خزائن السماوات والأرض لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون فهو يحب السائلين ويفرح بالتائبين وأنين المذنبين أحب إليه من زجل المسبحين المدلين المعجبين بأعمالهم نسأل الله العافية والسلامة.

---

(١) رواه الترمذي، وحسنه الألباني.

واحذر يا أخي الحسد فهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

واحذر من احتقار الناس وازدرائهم فالناس ليسوا مظاهر فقط وإنما بواطن كذلك فرب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره خير منك عند الله جل وعلا لصلاح قلبه باليقين والتوكل والإنابة والرغبة والرهبة والخوف والرجاء والمحبة والإخلاص والتعلق بالله والإخبات والخشوع وغير ذلك من أعمال القلوب التي هي من أفضل الأعمال عند الله عز وجل.

واجتهد على إصلاح قلبك فالرسول ﷺ يقول: «إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صحلت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[1]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ القلب ملك والجوارح جنود فإذا

---

(١) متفق عليه.

صلح الملك صلح الجنود.

اجتهد دائماً في فعل الطاعات لعل الله يتوفاك عليها ويبعثك عليها فلا تضيع الأوقات فالفرصة مازالت بيدك لا يضحك عليك الشيطان كما ضحك على كثير من الناس بانشغالهم عن الله بأموال ومناصب وأزواج وأولاد وشهادات وأصدقاء من أهل السوء وهو حريص أن تكون من حزبه في النار فإن كنت صاحب همة فإنك سوف تنقاد لأمر الله والرسول ﷺ بالليل والنهار فتكن من أصحاب الهمم العالية وإياك أن تكون من أصحاب الهمم الحيوانية فما أكثرهم في هذا الزمان ـ هداهم الله ـ.

وسارع إلى الله مازال في العمر بقية، سافر بقلبك وجوارحك إلى الله والدار الآخرة قبل أن يدركك هادم اللذات ومفرق الجماعات.

وإياك أن تكثر من المباحات التي تؤدي إلى المكروهات ثم إلى المحرمات وعصيان الرحمن.

واجتنب كثرة الضحك فإن الضحك يميت القلب واحذر كثرة الخلطة فإن كثرتها تضيع عليك الأوقات التي هي

رأسمالك في هذه الدار التي يجب أن تعمر أوقاتك فيها بكل ما ينفعك عند الله.

وامسك لسانك عن الآفات اللسانية التي وقع فيها أكثر الناس فإذا مات القلب فما فائدة الطاعة؟!.

كن دائماً محافظاً على ما افترض الله عليك من الطاعات وخصوصاً الصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة وبر الوالدين وصلة الأرحام وإحسان الجوار ومخالطة الأبرار وليكن شعارك دائماً فعل الطاعات والبعد عن المنكرات والصبر على أقدار الله تكن من أهل النعيم الدنيوي الذي يجعلك تسارع إلى النعيم الأخروي.

واحرص على زيارة المقابر كي تتذكر ساعة الرحيل فالرسول ﷺ يقول: «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تذكركم الآخرة»[1] وصل على جنائز المسلمين وشارك في دفنهم فلك من الأجر قيرطان كما ورد عن الرسول ﷺ في الحديث: «من خرج مع جنازة من بيتها وصلىٰ عليها ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر، كل قيراط مثل أحد...»[2].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

فالخسارة الخسارة أن تضيع عليك الطاعات في نوم أو حديث لا ينفع أو كسل وعجز.

احرص أن لا يفوتك شيء من الخير فأيامك معدودة وأنفاسك محدودة ولا تدري متى الرحيل إلى الآخرة.

أخي في الله اسأل الله القبول وحسن الختام فالأعمال بالخواتيم ولا يدري العبد كيف تكون خاتمته وإنما الأعمال بالقبول فالله عز وجل يقول: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾[1]. فهل أنت من المتقين أم إنك مازلت تسير لتحقق شيئاً من التقوى؟

وكن دائما قدوة للآخرين وذلك لا يكون إلا باقتدائك الكلي بالنبي ﷺ ومتابعتك له أشد من متابعة الركب في الصحراء لمن يعرف الطريق. لكي يقتدي بك الآخرون وإياك والتعصب لأحد سواه واعلم إنك على طريق الأنبياء والمرسلين فكن عزيز النفس فأنت الأعلى بإيمانك.

أخي في الله هل تريد أن يحبك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ملك السماوات والأرض؟ فليس الأمر أن تحبه فهذا

---

(١) سورة المائدة: آية ٢٦.

واجب على العبد الفقير تجاه سيده وخالقه من العدم والمتفضل عليه بما يعجز عن إحصائه من النعم الظاهرة والباطنة وإنما الشأن أن يحبك الله الغني الحميد فيحبك بعد ذلك جبريل والملائكة ويوضع لك القبول في الأرض فتكون محبوباً عند الناس.

أخي في الله هذه الأسباب الجالبة لمحبة الله لك فاحرص عليها لعله يحبك فتكون من المنعمين في الدنيا والآخرة:

١ ـ قراءة القرآن بتدبر وتفهم لمعانيه وما أريد منها ولا يكن همك نهاية الآية.

٢ ـ التقرب إلى الله بالنوافل في الليل والنهار بعد الفرائض فيقول ﷺ: «إن الله تعالى قال من عادى لي ولياً. . . . . وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصرُ به، ويده التي يبطش بها. . .»[1] وقال ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: أنا فقال: «من أطعم منكم اليوم مسكيناً؟» فقال أبو بكر: أنا. فقال: «من تبع منكم اليوم

---

(١) رواه البخاري.

جنـازة؟» فقال أبـو بكـر: أنـا. فقـال: «من عـاد منكم اليـوم مـريضاً؟» فقـال أبـو بكـر: أنـا. فقـال رسـول الله ﷺ: «مـا اجتمعت هذه الخصال قط في رجل إلا دخل الجنة»(١).

٣ ـ دوام ذكره على كـل حال: بـاللسان والقلب، والعمـل والحال. فنصيبك من المحبة على قدر نصيبك من هذا الذكر.

٤ ـ إيثار محابه جل وعلا على محـابك عنـد غلبات الهـوى، والمسارعة إلى محابه وإن صعب المرتقى.

٥ ـ مـطالعـة القلب لأسمـائـه وصفـاتـه، ومشـاهـدتهـا ومعرفتها. وتقلبك في رياضها. فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعـاله أحبـه لا محالـة وهو من أهم هـذه الأسباب فتـأمـل في أسمـائه وتؤمن بـآثارهـا وأركانها واقتبس النـور منها في حيـاتك فعندما تمـر بقولـه: ﴿غفور رحيم﴾ تـرى آثار مغفـرته ورحمتـه للمخلوقـات في هذا الكـون فتكـون ممن يعفـون عن الآخـرين ويرحمونهم. وعندما تمر بقوله ﴿سميع بصـير﴾ تعلم أنه يسمـع كل شيء ويرى كل شيء فيؤدي بك ذلك إلى أن تراقبه في الليل والنهار وهكذا عنـدما تمـر بأسمـائه وصفـاته في القـرآن والسنة

---

(١) رواه مسلم.

﴿العليم الحكيم﴾ و﴿اللطيف الخبير﴾ إلى آخره.

٦ ـ مشاهدة بره وإحسانه، ونعمه الباطنة والظاهرة فإنها داعية إلى محبته فكلما تتذكر بره وإحسانه بك وبخلقه وتفكر في آياته ونعمه تزداد محبة له جل وعلا.

٧ ـ وهو من أعجبها ـ انكسار قلبك بكليته بين يدي الله تعالى.

٨ ـ الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه ثم اختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

٩ ـ مجالسة المحبين الصادقين وتنتقي أطيب ثمرات كلامهم كما تنتقي أطيب الفواكه والطعام ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك.

١٠ ـ مباعدة كل سبب يحول بين قلبك وبين الله. وملاك ذلك كله أمران استعداد روحك لهذا الشأن، وانفتاح عين بصيرتك والله المستعان وعليه التكلان.

أسأل الله لي وللمسلمين العلم النافع والعمل الصالح والإخلاص لله في ذلك وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبي الغرباء محمد والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

دار طيبة

مكـــة ت ٥٥٨٩٠٢٧

الرياض ت ٤٣٥٤٩٣٧

دار الفنون للطباعة والنشر والتغليف

تليفون ٦٥١٦١٣١ ـ جـــدة